متخيل الهوية والاغتراب في الكتابة السير ذاتية "الممنوعة" لمليكة مقدم "نموذجا"

The Identity Imaginary and Alienation in Malika Moghaddam's "Forbidden" Autobiographical Writing as an "Example"

طالبة دكتوراه/ سوالمية وردة

الدكتورة/ وسيلة بوسيس

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة محمد الصديق بن يحي- جيجل(الجزائر)

مخبر البحث في الدراسات الاجتماعية اللغوية والاجتماعية التعليمية والاجتماعية الأدبية، جامعة جيجل.

warda.soualmia@univ-jijel.dz

boussiswassila@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2024/04/01 تاريخ القبول: 2024/05/22 تاريخ النشر: 2024/09/15

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على تيمة الهوية في علاقتها بالاغتراب في الرواية السير ذاتية النسوية الاغتراب الذي يعتبر ظاهرة نفسية اجتماعية واقتصادية، موغلة في القدم قدم الانسان، إذ ترتبط بما تعيشه الذات من معاناة وانقسام خاصة إذا تعلق الأمر بالهجرة والتنقل في المكان والزمان.

أرادت "مليكة مقدم" في روايتها "الممنوعة" الانتقال من الفضاء الثقافي الذي تنتمي إليه إلى فضاء أكثر رحابة وألفة حتى تجد هويتها المفقودة، وعليه سنحاول الوقوف على أهم التداعيات لهذه الظواهر وما ينجم عنها من آثار.

الكلمات المفتاحية: الهوية؛ الاغتراب؛ الرواية السير ذاتية؛ الممنوعة.

Abstract:

Through this paper, we seek to shed light on the theme of identity in its relationship to alienation in the feminist autobiographical novel. Alienation is considered a social and economic psychological phenomenon, as old as man. It is associated with the suffering and division of the self, especially when it comes to migration and movement in space and time.

Malika Moghaddam, in her novel "The Forbidden", wanted to move from the cultural space to which she belongs to a more spacious and familiar space in order to find her lost identity, and accordingly، we will try to identify the most important repercussions of these phenomena and the resulting effects

***key words**:* identity; alienation; autobiographical novel; forbidden.

1.مقدمة:

يعتبر موضوع الاغتراب وعلاقته بالهوية في الكتابة السير ذاتية النسوية أحد أهم التيمات التي يمكن الاشتغال عليها واستثمارها في تحليل المتخيل السير ذاتي. في هذا الصدد حاولت العديد من الروائيات التعبير عن هاجس فرض الذات مع الآخر الذكوري المتسلط، وقد كان لهذا الظهور تداعيات عدة أسهمت في تبلوره كمسار روائي ذي خصوصيات سردية **"وعليه فهناك عدة عوامل دعت المرأة العربية إلى كتابة ذاتها في ظل الصحوة العربية وانتشار التعليم والاتصال بالثقافة"**[1] وقد كان لهذا السياق الذي تبلورت فبه الكتابة النسوية عند الغرب إضافة إلى الانفتاح على الآخر ساعد في توجه الأقلام النسوية إلى تبني الكتابة عن الذات وكل ما يعتريها من أزمات تخص أنوثتها وتفكيرها وهواجس تؤرقها، وعليه تتخذ الروائيات الكتابة وسيلة دفاع وأسلوب تعبير عن اهتماماتها وكينونتها المفقودة في ظل حكم ذكوري متسلط **"الرواية النسوية جنس سردي ذو توجه أيديولوجي، يجعل من الرواية وسيلة نضالية، تدافع فيها المرأة عن ذاتها الأنثوية ضد تعسف الذكورة"**[2] فالمرأة عادة ما تعيش تحت سلطة الرجل لذا تسعى جاهدة إلى تغيير واقعها، وفرض ذاتها إضافة إلى السعي لتغيير الواقع الذي تعيشه وقد سبب لها هذا نوعا من الاغتراب الذاتي وانهزاما على مستوى الذات والهوية .

أولا: تأطير مفاهيمي للكتابة الروائية السيرذاتية:

تعد الكتابة الروائية السير ذاتية أكثر الفنون الأدبية قربا من الكتاب والتصاقا بهم؛ لأن الكتابة السيرية تفسح المجال أمام الكاتب لإثبات نفسه الذي يشعر أنه لا سبيل لتحقيق ذلك إلا عبر الكتابة. والرواية السيرية كمفهوم **"يقصد بها القالب الفني الذي يزاوج فيه الكاتب في عرض**

أحداث حياته(الواقعية) في شكل روائي...واستخدام الخيال استخداما محدودا في تجسيد هذه الأحداث(الحقيقة)"[3]. ينبني التخييل الذاتي من عناصر حقيقية تحيل إلى الواقع إضافة إلى أخرى تخييلية مشكلة ما يسميها "جورج ماي"[4] الرواية السير ذاتية التي هي تعبير عن الذات وإثبات لها. بيد أن الكتابة النسوية عموما تتخفى وراء عنصر التخييل لأن الروائيين يتجنبون تعرية الذات فيجدون متنفسا في الرواية السير ذاتية[5]، ولهذا تلجأ العديد من الكاتبات للتعبير عن رفضهن للواقع ولكل ما يفرضه عليهن من سلطة وهيمنة في مجتمع ذكوري.

1.السيرة الذاتية:

في ظل التحولات التي شهدتها الساحة الأدبية أفضى ذلك إلى بروز شكل سردي ينطلق من الذات كتيمة ينطلق الكاتب من خلالها يكتب حياته ضمن نسق فني له حدوده ومعالمه. ولعل الحديث عن هذا النوع الأدبي يتطلب منا التعرض لأهم ما يميزه عن غيره من الأنواع الأدبية القريبة منه. وفي هذا الشأن ظهرت أقلام غربية وعربية حتى تقف عند الشكل كمعطى فني.

إن ماهية السيرة الذاتية أو الترجمة الشخصية أو كتابة الذات وغيرها من المصطلحات التي اصطلح عليها النقاد. ولما أفرز الخطاب النقدي مجموع التعريفات لهذا النوع نجد أن الناقد "فليب لوجون ""philippe lejeune" الذي يعد من أبرز المنظرين لها يرى بعد مراجعته "أنها نوع معقد من أنواع الأدب وغير مستقر، ولهذا نجد أنه من الصعب تقديم تعريف محدد لأدب السيرة الذاتية"[6]. وبعد أن أعاد صياغة مفهوم إجرائي أكثر موضوعية فنجد أنه يعرفها بقوله : "حكي استيعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصه"[7]. أشارت "ريم العيساوي" أن مفهوم "لوجون" كان له الأثر البالغ على جل الدراسات التي اهتمت بفن السيرة الذاتية.

اجتهد النقاد العرب في استعراض مفاهيمهم لفن السيرة الذاتية، وقد أشار العديد منهم إلى صعوبة إيجاد مفهوم شامل لها وفي هذا الشأن أشار "شعبان عبد الحكيم" أن "مرجع عدم تحديد تعريف جامع مانع إلى طبيعة هذا النوع الأدبي الذي ينفر من التجنيس"[8]، ذلك أن هذا النوع الذي يتداخل ويتقارب من الرواية والمذكرات والاعترافات يؤدي إلى هذا المعضلة المفهومية.

قدم يحي عبد الدايم تعريفا للسيرة الذاتية أعده النقاد أقرب العريفات له، حيث عرفها بقوله: "الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح... وفي أسلوب أدبي ، قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا كافيا عن تاريخه الشخصي على نحو موجز"[9]، تعددت المفاهيم وتقاربت، ثم إننا إذا وقفنا على الأسباب التي أدت بالمؤلفين إلى كتابة سيرهم "وللسيرة غاية يهدف صاحبها من وراء كتابتها قد تكون توكيدا

للذات أو تنفيسا عن انفعالات أو حالة نفسية ألمت به، أو تبريرا لموقف غير مستساغ صدر منه..."[10]. وقد تختلف الدوافع من كاتب لآخر حسب ما تمليه عليه قريحته. ومع ظهور اعترافات "جان جاك روسو" أضحت هذه الكتابة تقليدا، إذ الاعترافات كما يشير بعض النقاد لها خاصية الترويح والتنفيس عن الذات.

2.الرواية السيرذاتية:

إن الرواية بوصفها أكثر الأنواع الأدبية قربا من الإنسان، خاصة وأنها تترجم الواقع وما يتصل بالحياة، وهي في الآونة الأخيرة تتداخل مع الأنواع القريبة منها حيث تعد "الرواية واحدا من أكثر الأجناس الأدبية التي تاخمت مع حدودها أجناسا أدبية مختلفة، وقد تعد في بعض الأحيان أصولا تاريخية لأنواع مثل(الملحمة/ الخطابة/ السيرة/ الرحلة)وغيرها من أنماط السرد الأدبي"[11]، ومن الفنون السردية التي تلاقحت معها الرواية لتخلق نوعا هجينا اصطلح عليه بالرواية السير ذاتية وذلك أن السيرة الذاتية من أقرب الأنواع لها تتعالق معها وتتداخل، ولهذا وضع "لوجون" ميثاقا حتى يفصل بينهما. ويزاوج الكاتب في كتابة سيرته الذاتية بين الواقعي والتخييلي حتى يبتعد عن الإفصاح والتصريح المباشر عن حياته. إن استعارة الرواية للواقعي يفضي بنا إلى القول بأن هذا التداخل القائم على استحضار عناصر ماضوية، ثم إن "الرواية التي تسعى إلى كتابة الذات – تنطلق من مرجعية السيرة وحواشيها المتخلية"[12]. وباعتبار الرواية السير ذاتية ذلك الشكل أو القالب الفني الذي يزاوج فيه الكاتب في عرض أحداث حياته (الواقعية) والشكل الروائي، الذي يعتمد على السرد والتصوير... واستخدام الخيال استخداما محدودا في تجسيد هذه الأحداث الحقيقية"[13]. ومع التطور الحاصل الذي حصدته الرواية السير ذاتية باعتبارها فنا يزاوج في أحداثه بين عناصر عدة قوامها الصدق والمكاشفة والمصارحة حينا والتمويه والتخفي حينا آخر.

يزاوج كاتب الرواية السير ذاتية بين الواقعي والتخييلي، حتى يبتعد عن التصريح الفاضح والمباشر لأحداث حياته. ذلك أن العديد منهم لا يعترف بأن ما كتبه له علاقة بحياته، ولهذا يستعين بأدوات روائية كالخيال والعناصر السردية الأخرى حتى لا يقع في مأزق تعرية النفس أمام جمهور القراء إذ إن: "الأحداث تخضع لمبدأ الانتقاء، والفن يضفي على الأحداث طابعا جماليا"[14]

3.مليكة مقدم وكتابة الذات

حين نعود للرواية السير ذاتية في الأدب الجزائري، يتضح أنها أخذت حيزا هاما خاصة وأنها تنطلق من الذات، وتكتب الواقع بأسلوب جمالي. ويستدعي الروائي أحداث ماضيه وذكريات خاصة بمرحلة ما من حياتهم. هذه الكتابة الهجينة التي تتعلق بالأدب الشخصي. وعلى سبيل التأصيل لهذا التوجه أرجع العديد من النقاد بواكير ظهورها مع الروائي "رمضان حمود" في مدونته

"الفتى" سنة 1929، أما المحاولة الثانية فقد أرجعها النقاد للأديب عبد المجيد الشافعي في ذكريات من بعيد سنة 1945[15]، لتظهر أقلام أخرى تربط هذا الظهور بالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية مع مولود فرعون وكاتب ياسين[16]... هذه البدايات الأولى التي تعد إرهاصا للسيرة الذاتية في المتن الجزائري لتتوالى بعدها الأقلام لتؤسس وتأرضن لها بكتابات جادة منها ما هو سيري بحت ومنها ما هو قالب يزاوج فيه الروائي بين تاريخه الشخصي والخيالي، ومن بين هؤلاء الكتاب نجد: مرزاق بقطاش، زهور لونيسي، عبد الملك مرتاض[17]، فيصل الأحمر على سبيل المثال لا الحصر. وفي هذا الخصوص نرى توجه الروائيات الجزائريات لهذا النوع من الأدب الشخصي، من أجل تسليط الضوء على أهم القضايا التي تخص المرأة في المجتمع الجزائري. ومن بين هؤلاء نجد الروائية "مليكة مقدم" التي خاضت غمار الكتابة السيرية حتى تعبر عن مآسيها وماضيها، إضافة إلى أن التخييل الذاتي، له خصوصية فنية في معالجة المشكلات بموضوعية.

لما تدرك الذات أهميتها فإنها تتمرد على الواقع من خلال الكتابة بطرح أهم القضايا منها الهوية المسلوبة التي تنبثق من خلال الذات و علاقتها مع الآخر هذا **"من أجل إثبات الكيان المختلف والهوية المتميزة"**[18]، أرادت الرواية السير ذاتية تجسيد الواقع بالتعبير عن هواجس الذات وكل ما يعتريها من متاهات، نجد الكاتبة "مليكة مقدم" من خلال رواية الممنوعة **" أنها أدركت أهمية الكتابة للخروج من شرنقة الآخر/ الرجل إلى عمق الأنا والتمركز حولها"**[19] فاشتغلت الروائية على العديد من التيمات في روايتها "الممنوعة" أهمها أزمة الهوية ومدارات الاغتراب الذي عاشته. وعليه نطرح الإشكالية التالية: ما علاقة الاغتراب بالهوية؟ وكيف تمظهر ذلك لدى مليكة مقدم؟

2.الهوية والاغتراب مفاهيم وتقاطعات :

1.2.الهوية:

تعتبر تيمة الهوية أكثر ما شغل الساحة النقدية والأدبية خاصة وأنها معطى فسيفسائي المعنى يتعلق بالذات في علاقتها مع نفسها وغيرها تبرز من خلال الاختلافات إضافة إلى ما يعيشه الفرد في مجتمعه فعلاقة التفاعل بين الجزء والكل تسهم في بروز الهوية وتشكلها يعرف المفكر الفرنسي **"أليكس ميكشيللي"** الهوية بأنها: **"منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية....فالهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتمايز"**[20] فمفهوم الهوية يتحدد من أبعاد ومعطيات كثيرة لا يمكن أن تتحقق إلا بها. ترتبط

الهوية بالحرية فكلما كانت الذات انتماء يحقق لها الحرية في التفكير و التصرف وكلما أدركت الذات نفسها كلما تحققت الهوية بيد أنها **"ليست موضوعا ثابتا أو حقيقة و اقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية، فالهوية قائمة على الحرية لأنها إحساس بالذات والذات حرة. والحرية قائمة على الهوية لأنها تعبير عنها"**[21]. إذن تخضع الهوية لمبدأ الحرية وذلك من خلال ممارسة الفرد لحريته تكسبه هوية ، خاصة وأن الهوية مجموعة من الخصائص التي تميز الفرد. وقد أضحت تيمة يحاول الفرد تحقيقها خاصة في ظل التحولات التي مست العالم حيث أفضت إلى فقدان الفرد لانتمائه، وغياب الهوية من شأنه أن يؤدي إلى ظهور أزمات نفسية وسلوكية. وما يتبادر إلى أذهاننا من تساؤلات إلى أي مدى يرتبط فقدان الهوية بشعور المرء بالاغتراب؟ وهل هو نتيجة حتمية لها؟ وببساطة فإن غياب الهوية من شأنه شعور الفرد بالاغتراب المكاني والنفسي والاجتماعي.

2.2. الاغتراب:

يعتبر العديد من الدارسين والنقاد الاغتراب قضية موغلة في القدم، وهذا لارتباطه بالحالة النفسية للأفراد في المجتمعات الإنسانية. وقد انعكس الاغتراب على الأدب، وتضمنت العديد من الكتابات الشعرية والنثرية لهذه التيمة، ولهذا نجد عدة دراسات حاولت تسليط الضوء عليه فهما ونقدا، تحليلا وتفسيرا، بيد أنه لم يجد له مفهوما محددا وهذا راجع لطبيعة الغموض الذي يكتنف هذا المصطلح، إضافة إلى تعدد الدراسات وكل يفسرها حسب تخصصه. وقد تناول هذا المفهوم ثلة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلم النفس ومن هذه المفاهيم نذكر ما ورد عند **"هيجل" : "الاغتراب حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الانسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره "**[22] أما ما ورد عند **"ملفين سيمان" فقد "حدد خمسة مفاهيم مختلفة للاغتراب منها: العجز، وفقدان المعايير، وغياب المعاني، والانتماء، وما يسمى الاغتراب الذاتي"**[23]، يتجلى الاغتراب في صور سلبية عديدة ترتبط بالحالة النفسية والشعورية التي يؤدي إلى انهزام الذات. يمكن اعتبار الاغتراب: **"ظاهرة نفسية وفكرية واجتماعية و اقتصادية تتمثل في التنافر بين الذات والآخر والطبيعة والعمل والزمان والمكان"**[24]، محنة ومأزق يقع فيه الفرد من خلال الانشطار الجزء عن الكل، الذي يؤدي إلى إعاقة في التواصل بين الأفراد فيما بينهم.

وفي هذا الصدد قد وردت العديد من الآراء التي تحاول تقريب المفهوم والمسك به وهذا ما جادت به قريحة **"كارين هورني" "فإنها تعزو الاغتراب لدى الانسان إلى ضغوط داخلية حيث**

يوجه معظم نشاطه نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال حتى يحقق ذاته ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها"[25]، فالاغتراب نتاج الضغوط النفسية وتلك الانكسارات التي يعانيها الفرد بسبب ما يكابده وما يعايشه من مشكلات، وأزمات التي تكون نتاج ما يفرضه المجتمع من سلوكات أو قوانين مجحفة في حق الفرد، ثم أن الرفض والبحث عن البديل الذي في بعض الأحيان نعجز عن توفيره أو تحقيقه يؤدي بدوره فقدان الأمان.

3.2.سطوة الاغتراب على الهوية

يؤدي فقدان الهوية إلى الإحساس بالاغتراب، فسيطر هذا الشعور بالانقسام ، خاصة وأن الهوية أحد أهم المحددات التي بها تكتمل شخصية الفرد. **"وقد تتحول الهوية إلى اغتراب. تنقسم الذات على نفسها، وتتحول مما ينبغي أن يكون إلى ما هو كائن...يسيطر الاغتراب على موضوع الهوية فالهوية حالة مثالية في حين أن الاغتراب حالة و اقعية"**[26] فمعاناة الذات في البحث عن الهوية المفقودة في ظل الممارسات العنيفة للمجتمع على الأفراد خاصة المرأة يجعلها تعيش في صراع ، وله تبعات عديدة على الحالة الشعورية والنفسية، وقد **"يؤدي فقدان الهوية أي الاغتراب إلى ردي فعل متضادين مثل العزلة والانطواء أو الانتشار والعنف، فمن يفقد هويته يفقد قدرته على الحركة والنشاط"**[27]، تقول مليكة مقدم **"ترحل من ذاتك لست إلا غريبا أينما حللت"**[28]، حين تدخل الذات في متاهات الانكسار ، تصير الهوية معطى نفسيا لا يمكن المسك به وتنزاح الذات وتنحرف فتصير الذات متشظية غريبة أينما حلت. ذلك أن "الاغتراب واحد من الأسباب المؤدية إلى غياب هوية الفرد أو الجماعة في مجتمعاتنا المحلية أو الإقليمية؛ وهذا ما نلمسه من خلال أشكال تمظهرها في السلوك والأفعال وفي بعض الأحيان حتى في الثقافة"[29].ثم إن ظاهرة الاغتراب نتيجة حتمية لأزمة الهوية، والتي لها أسباب عدة منها: "فقدان الشعور بالانتماء، وعدم الالتزام بمعايير المجتمع، وفقدان الهدف والمعنى..."[30]

3.الهجرة/ البحث عن الهوية:

خاضت الرواية العربية غمار التجريب، وعند العودة للرواية الجزائرية نجد العديد من الروايات التي برز فيها هذا التجريب، وقد كانت أحد تداعياته التخييل الذاتي، خاصة ما يخص البحث عن الذات وإبراز مكانتها انطلاقا من الانفتاح على الآخر وقد يترتب عن هذا البحث قطيعة مع الأصل والانتماء حتى يحظى بتواجد جديد يكسبه هوية.

حين نعود لتجربة "مقدم" في روايتها الممنوعة فنرى أنها مشحونة بتلك "القطيعة بين الذات وفضائها الثقافي" [31]

"سلطانة" تغادر فضاءها الذي تنتمي إليه بحثا عن انتماء جديد أكثر اتساعا من تلك الصحراء رغم شساعتها إلى أن تكبت حريتها ، الانتقال إلى وهران أولا ثم إلى فرنسا ينهي تلك المعاناة التي افقدتها هويتها الأصلية حين ننغمس في ثقافة جديدة فإننا نكتسب هوية ما تقول "سلطانة " "في تلك الفترة ، كنت في حالة الذي يولد من جديد، وشعرت فجأة بجوع كبير للحياة... شيئا فشيئا، أضحت تهديدات وممنوعات الجزائر تحدث في نفسي هلعا لا مثيل له. لذلك هربت من كل شيء. هرب غير معقول حينما أحسست بزوغ كوابيس أخرى "[32].نرى أن الكاتبة حين غادرت فهي تمارس الهروب من الثقل الثقافي المفروض عليها في تلك المنطقة هنا اكتسبت هوية بعيدة عن ذلك الممنوع الذي تفرضه الصحراء. بيد أن تلك الانتماءات التي ارتحلت إليها قد تفضي بها إلى الشعور بالهوة **"إن تعددية الانتماء وتناقضاته تؤدي إلى حالة من الانشطار في الهوية الاجتماعية وإلى حالة من التمزق الوجداني"**[33]. بيد أن هروب سلطانة من فضائها الثقافي جعلها تقارن بين الثقافتين الذي أوصلها إلى الاغتراب. تقول: **"بين اغتراب الحصر والهروب عن طريق الحلم والخيال. داخلة منزلة بين المنزلتين، تبحث عن اتصال بين الجنوب والشمال، عن معالمها داخل ثقافتين"**[34]. رغم أن الأنا تمجد الآخر في ممارسة الحريات حين نقارن الثقافتين الجزائرية والفرنسية وقد تجسد ذلك في الرواية في الحوار الذي كان بين دليلة وفانسان.

إن التمزق الهوياتي يفضي بسلطانة إلى الإحساس بالاغتراب تفقد كينونتها الجزائرية في ظل النظرة الدونية للمهاجرين **"الآن في فرنسا، لست لا جزائرية، ولا حتى مغاربية. ما أنا إلا عربية. أو قل لا شيء تقريبا. إن كلمة عربي تذيبك في رتابة سديمية. هنا لم أعد لا جزائرية ولا فرنسية. أحمل قناعا. قناعا غربيا؟ قناع مغتربة؟"**[35] هل يمكن تحديد الهوية من المكان؟ أم من الطائفة؟ أم من اللغة[36]؟ حين نعود لقول سلطانة نرى الهوية التي تجسدت في المنفى هي هوية المغتربة لا تملك انتماء يحدد توجهها فلا هي جزائرية ولا مغاربية هي عربية

4.العودة/ أزمة الذات في استعادة الهوية

غادرت "سلطانة" الجزائر بحثا عن انتماء يحقق لها ذاتها بعيدا عن عين النخلة وما عاشته في القصر الذي سبب لها انشطارا في الذات وأزمة في الهوية التي أدت بها إلى الاغتراب ها هي تتخلص من الثقل الثقافي المفروض عليها ولكنها تعود بعد ذلك الغياب **"لم أتصور أبدا بأنني أستطيع**

العودة يوما إلى هذه المنطقة. ومع ذلك، لم ابتعد عنها بشكل نهائي أبدا. كل ما فعلته هو أنني ألحقت الصحراء والحزن الشديد إلى جسمي المهجر. وبقيت مجزأة بينهما"[37] بقيت "مجاهد" مجزأة بين ماضيها وحاضرها هذه الهجرة نيران الحنين للوطن **"غطت هواجسي الهائمة الغثيان الذي شعرت به لحظتها وأججت بداخلي الحنين إلى الوطن. رياح الشمال في الخارج والرياح الرملية بداخلي، تلاشت مقاوماتي. الهاتف، البحث، الرنين والصوت المجهول:"**[38]

رغم أن الذات تنبهر بالحضارة التي تخص الآخر إلا أنها لا تستطيع الانشطار عنها تقول: **"بعد عشر سنوات من الغياب والحنين المعذب، ها أنا أدخل عين النخلة دون أن أشعر"**[39]. ها هو الحنين للوطن يؤجج مشاعرها تأتي بحثا عن الهوية الأصلية ترميما لذاتها، تعود بحثا عن نفسها التي فقدتها تمسكا بوطنها، الأصل الذي لا يمكن أن ينفصل المرء عنه مهما كان قاسيا وظالما في حقه.

حين عودة "سلطانة" إلى مسقط رأسها تصرفت بحرية أكبر تذهب للحانات وتشرب المشروب ومشت في الجنازة وكل هذه التصرفات لا يقبلها أهل المنطقة خاصة وأنهم لم يعهدوا هكذا تصرفات، إذ ترى أنه من حقها التصرف كما تريد، حيث لها كامل الحرية، فقد عادت بهوية جديدة اكتسبتها من المجتمع الذي كانت تعيش فيه. وسعيا منها لفرض ذاتها وبتصرفاتها هذه ترى أنها تمتلك هوية خاصة بها، أين أشرنا آنفا أن الحرية هي الهوية.

الطبيبة "سلطانة" وتتصرف بحرية كحق مشروع ترى أنها تعبر عن هويتها التي تفقدها أينما حلت، إلا أن هذه المطلقة التي تعاملت بها في رأس النخلة لم تعجب أهلها، إذ لاقت الصد والرفض لممارساتها من قائد الفيس الاسلامية و**"بكار"** رئيس البلدية الذي يهددها في كل مرة يقابلها **"لا أريد مثل هذه الأشياء هنا هذا سكن وظيفي، وليس ماخورا... ممارسة الدعارة... تشربين الكحول وتنامين معه قال مشيرا إلى صالح بحركة رأس متعالية"**[40] فالخروج عن السائد والمألوف وكسر القيم الاجتماعية في بيئة صحراوية محافظة يقابلها الرفض من المجتمع الذي يرى في انفتاح الأنثى وتصرفها نوعا من المحظور الذي لا يقبله المجتمع **"ويشير السياق النفسي الاجتماعي: على شعور المرء بالانفصال عن الكل الاجتماعي الذي ينتمي إليه وهو انعكاس لوضع الفرد في المجتمع نتيجة ما يوقعه الأخير بالإنسان من عقوبات العزل أو النبذ بسبب الخروج عن المعتقدات والتقاليد السائدة"**[41]. الحياة في الصحراء صعبة تدفع بالمرء إلى التمرد وهدم القيم المفروضة عليه قهرا وقصر **"عانى الفرد من الاغتراب وكانت تقوده حينا إلى التمرد والعصيان ومواجهة المجتمع، وحينا إلى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذات"**[42]، فما تكابده من

رفض وقسوة من المجتمع الذي تنتمي جعلها ترى أنها ترتاح لقرار الهجرة دون رجعة، تقول سلطانة : **"وهذا ما جعلني أرتاح لقرارعدم العودة الذي اتخذته لحظة الرحيل."**[43] في هذا القرار نرى أن سلطانة لا توافق ما تعيشه وما آلت إليه حين عودتها فكان القرار الذي اتخذته بالمغادرة لم خاطئ.

5.الاغتراب/ تشظي الهوية:

تؤدي الحالات الانفعالية التي يعيشها الفرد في البحث عن تحقيق الذات، إلى الإحساس بالتمزق الذاتي نتيجة البحث عن الهوية، وما لامسناه في رواية الممنوعة هو انشقاق الذات لدى سلطانة مجاهد فتلك الصدمات التي عاشتها البطلة جعلتها تعيش اغترابا أدى بها إلى التكوم على ذاتها كنوع من التصدي للهجمات التي تعيشها تقول: **"تكومت بحذر على سلطاناتي المنشقات، المختلفات، واحدة منها ليست سوى انفعالات شبقية متضخمة...اتخمت حزنا...أما سلطانة الأخرى، فليست سوى إرادة. إرادة شيطانية. مزيج غريب من الجنون والعقل"**[44] تؤكد هورني أن الاغتراب هو اغتراب الذات يبدأ بانفصال الذات عن مشاعرها ثم يفقد الاحساس بها.

البحث عن الهوية والانتقالات المستمرة لسلطانة بين الجزائر ومونبولي تلك التجزيئات في الأمكنة بالضرورة تؤدي إلى الاغتراب، بيد أن التصاقنا بأوطاننا لا يغادرنا أبدا ابتعدنا إلا ذلك الحنين يشدنا ، **"لا أعرف. جزئيا، ربما بسبب الطفلة التي ماتت بداخلي. ربما أيضا بسبب الأراضي. الصحراء. وهران. باريس. مونبولي. تجزئة الأراضي وتجزئة المنظر الداخلي. إن الأراضي العزيزة عليك والتي تضطر إلى مغادرتها. تسكنك أبدا. بسبب تكرار الذهاب. تفقد الألفة مع نفسك، ترحل من ذاتك. لست إلا غريبا أينما حللت. توقف مستحيل وأكثر من هذا رجوع مستحيل"**[45] ، ففقدان الانتماء يؤدي بالنفس إلى الاغتراب والشعور بالغربة أينما حللت وتوجهت **"علّ مفهوم الاغتراب من أكثر المفاهيم الفكرية الفلسفية التي لامسات و أثّرت في الذات العربية داخل الوطن او خارجه، وأنّ الانتماء هو الهاجس النفسي الأوّل الذي تسعى إليه الذات قصد إشباعه "**[46]، فهذا الاغتراب الذي تعيشه الذات سواء في الغربة أو في داخل الوطن فإن هذا ما دفع بسلطانة إلى البحث عن انتماء جديد يضمن لها تحقيق ذاتها بعيدا عن ما تكابده في فرنسا، فتحاصر "سلطانة" أفكار العبثية وتتجلى في حواراتها الأفكار الوجودية خاصة فيما يخص التشتت الذي تعيشه بين الجزائر/ فرنسا إذ تسعى لتجاوز المحنة التي تعيشها أدى بها الاغتراب النفسي، والاجتماعي إلى إيجاد هوية بديلة عن الهويات التي اكتسبتها في تنقلاتها إذ ظلت غريبة أينما حلت تقول: **"الذهاب مرة أخرى؟ مغادرة فرنسا والجزائر معا؟ نقل الذاكرة المضخمة من قبل المنفى إلى مكان آخر؟ محاولة العثور على مكان بلا جذور، بلا عنصرية، بلا معاداة الأجانب"**[47] ،

تطرقت الكاتبة لأزمة المهاجرين، وعن قسوة المنفى، وقد تجلى في قول "سلطانة" عن معاناة المهاجرين من عنصرية ومن معاداة مع الأجانب وتجلى في حديثها أزمة الأنا والآخر والتي تتمثل في النظرة الدونية للأجنبي وفي تلك المعاملات القاسية من قبلهم هذا في منفاها في فرنسا، إضافة إلى أزمتها مع الآخر الرجل من قبل أهلها في عين النخلة، فالصراع بين الأنا والآخر لا يكون في الغربة بل حتى في تلك السلوكيات التي تنبثق عن معاملة الرجل للمرأة سواء الأب الأخ الزوج أو المجتمع.

6. خاتمة:

نختم هذه الورقة البحثية باستخلاص لمجموعة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

- تعتبر الرواية السير الذاتية أحد أشكال التعبير عن الذات وما يعتريها من ضغوط ومشاكل خاصة لدى المرأة التي تجد حرجا في البوح عن مكنوناتها.
- اتخذت مليكة مقدم الكتابة تعبيرا عن رفضها للواقع الذي عاشته في بيئتها الأولى وكانت سببا في معاناتها.
- تمظهر أزمة الهوية وما يعتريها من مشاكل تخص الذات خاصة بتعدد الانتماءات التي سببت تمزقا بالهوية وتشتتا في النفس.
- أضفى تمزق الهوية إلى أزمة أخرى تخص ذات سلطانة التي لم تقو على التعايش في الفضاءات التي زارتها.
- يصيب الفرد حين يعيش ظروفا معينة تؤدي به إلى بالشعور بالاغتراب سواء النفسي أو الاجتماعي نتاج ما يكابده وقد تجلى ذلك بوضوح في شخصية سلطانة .

قائمة المصادروالمراجع:

[1] أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 01، 2005، ص 29.

[2] فاروق سلطاني، الرواية النسوية الجزائري(ة مسارات النشأة وخصوصية المنجز السردي)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج: 09، العدد 03، 2020، ص 41

[3] شعبان عبد الحكيم محمد السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، 2008، ص 75.

[4] بلباشة مسيكة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية مزاج مراهقة لفضيلة الفاروق، مجلة المدونة، مج: 05، العدد 01، 2018/06/30، ص 178.

[5] المرجع نفسه ، ص.180

[6] ريم العيساوي، انعكاسات المرآه في سرد الذات للدكتور الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، تونس، ط 01، 2011، ص 26.

[7] فليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ص 22

[8] شعبان عبد الحكيم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 13.

[9] يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 10

[10] شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص10.

[11] ممدوح فراج النابي، رواية السير ذاتية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط 01، 2011، ص 21.

[12] محمد برادة، الذات في السرد الروائي دراسات نقدية، دار أزمنة، عمان، ط 01، 2009، ص 12.

[13] شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 75.

[14] المرجع نفسه، ص 170.

[15] الحاج جغدم، تيمات السرد في سيرة عبد المالك مرتاض "الحفر في تجاعيد الذاكرة"، التعليمية، مج: 04، العدد 11، جوان 2017، ص 291.

[16] مسيكة بلباشة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية (رواية مزاج مراهقة لـ فضيلة الفاروق أنموذجا)، ص 182.

[17] الحاج جغدم، تيمات السرد في سيرة عبد المالك مرتاض "الحفر في تجاعيد الذاكرة"، ص 291

[18] بلباشة مسيكة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية مزاج مراهقة لفضيلة الفاروق ، ص 182

[19] حنينة طبيش، الذات في السرد النسوي رواية المتمردة لمليكة مقدم أنموذجا، المدونة، مج 08، العدد 03، سبتمبر 2021، ص 3147.

[20] رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 158.

[21] حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01، 2012، ص 23

[22] حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2006، ص 37

[23] المرجع نفسه، ص 36.

[24] علي محمد نزال الذيابات، الاغتراب ومتاهة الذات في رواية أعالي الخوف لهزاع البراري، جمعة الحسين بن طلال، الأردن، ص 04

[25] رشاد صالح دمنهوري، الاغتراب وبعض متغيرات الشخصية دراسة مقارنة، جامعة أم القرى، 1417، ص 10.

[26] حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01، 2012، ص 24

[27] المرجع نفسه، ص 25.

[28] مليكة مقدم، الممنوعة، تر: محمد ساري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 103.

[29] ناجم مولاي، أزمة الهوية في ظل تحدي الاغتراب- مأزق وعي ومحنة شخصية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ص 417.

[30] المرجع نفسه، ص 424.

[31] حمزة بوزيدي، انزياحات الذات وتجاوز الهوية في رواية الممنوعة لمليكة مقدم دراسة موضوعاتية، مجلة اشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تمانغست، الجزائر، مج: 09، عدد 01، 2020 ص 248.

[32] مليكة مقدم، الممنوعة، ص 45.

[33] رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 153.

[34] مليكة مقدم، الممنوعة، ص 45.

[35] المرجع نفسه، ص 130.

[36] أشار حسن حنفي في كتابه إلى أن "العروبة هي اللسان، فكل من تحدث العربية فهو عربي. فهناك هوية عربية هي أساس القومية العربية ولا تقوم القومية : :العربية إلا على اللغة"

[37] مليكة مقدم، الممنوعة، ص07.

[38] المصدر نفسه، ص 08.

[39] المصدر نفسه، ص 15.

[40] المصدر نفسه، ص 56، 57.

[41] صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط 01، 2010، ص 46.

[42] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2013، ص 15.

[43] مليكة مقدم، الممنوعة، ص 23.

[44] المصدر نفسه، ص 10، 11.

[45] المصدر نفسه، ص 103.

[46] هاجر مباركي، اشكالات الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استيلاب، دراسات أدبية، العدد 06، جوان 2018، ص 139

[47] مليكة مقدم، الممنوعة، ص80.

قائمة المصادروالمراجع:

المصادر:

مليكة مقدم، الممنوعة، تر: محمد ساري، منشورات الاختلاف، الجزائر.

المراجع:

1- الكتب باللغة العربية:

1. أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 01، 2005.
2. حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01، 2012.
3. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2006.
4. رشاد صالح دمنهوري، الاغتراب وبعض متغيرات الشخصية دراسة مقارنة، جامعة أم القرى، 1417.
5. رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية.
6. ريم العيساوي، انعكاسات المرأة في سرد الذات للدكتور الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، تونس، ط 01، 2011.
7. شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، 2008.
8. صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط 01، 2010.
9. علي محمد نزال الذيابات، الاغتراب ومتاهة الذات في رواية أعالي الخوف لهزاع البراري، جمعة الحسين بن طلال، الأردن.
10. محمد برادة، الذات في السرد الروائي دراسات نقدية، دار أزمنة، عمان، ط 01، 2009.
11. محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن
12. ممدوح فراج النابي، رواية السير ذاتية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط 01، 2011.
13. يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ط 01، .2013

2- الكتب المترجمة:

1. فليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي.

3- المجلات العلمية:

1. بلباشة مسيكة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية مزاج مراهقة لفضيلة الفاروق، مجلة المدونة، مج: 05، العدد 01 ، 30/06/2018.
2. الحاج جغدم، تيمات السرد في سيرة عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة، التعليمية، مج: 04، العدد 11، جوان 2017.
3. حمزة بوزيدي، انزياحات الذات وتجاوز الهوية في رواية الممنوعة لمليكة مقدم دراسة موضوعاتية، مجلة اشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تمانغست، الجزائر، مج: 09، عدد 01، 2020.
4. حنينة طبيش، الذات في السرد النسوي رواية المتمردة لمليكة مقدم أنموذجا، المدونة، مج 08، العدد 03، سبتمبر 2021.

5. فاروق سلطاني، الرواية النسوية الجزائري(ة مسارات النشأة وخصوصية المنجز السردي)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج: 09، العدد 03، 2020.
6. ناجم مولاي، أزمة الهوية في ظل تحدي الاغتراب- مأزق وعي ومحنة شخصية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية.
7. هاجر مباركي، اشكالات الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استيلاب، دراسات أدبية، العدد 06، جوان 2018.